محاضرة 1: مقدمة في علم النفس الطفل و المراهق.

تمهيد:

ان دراسة سيكولوجية الطفل و المراهق تعتبر من الدراسات التي لاقت قبولا كبيرا في كل المجتمعات، حيث تعتبر هاتين المرحلتين أساسا لبناء شخصية الفرد في المستقبل من جميع نواحيها النفسية و الاجتماعية، كما أن لمثل هذه الدراسات أهمية كبيرة في وجدان الجنس البشري بصفة خاصة و علماء النفس و المربين بصفة خاصة.

1. تعريف علم النفس الطفل و المراهق:

يعتبر علم النفس الطفل و المراهق أكثر ميادين علم النفس النمو اتساعا و هو مجموعة الدراسات العلمية التي اهتمت بتفسير نختلف الظواهر و العمليات النفسية و الاجتماعية الطارئة في الطفولة و المراهقة. لقد ساعدت هذه الدراسات على تغيير نظرة المجتمع اتجاه الطفل خاصة و منه تحقيق عدة إنجازات عالمية أهمها الإعلان عن حقوق الطفل في 1959، انشاء منظمة الطفولة العالمية 1964 و تعيين عيد الطفولة العالمي 1979.

* **الطفولة**: يمكن تعريفها على أنها الفترة التي تقضيها صغار الكائنات الحية في النمو و الارتقاء تحضيرا للاعتماد على أنفسهم في تدبير شؤون حياتهم و تأمين إشباعاتهم بعد أن كانوا يعتمدون على الكبار بصفة عامة و الوالدين بصفة خاصة. تعتبر طفولة الانسان الأطول بين جميع الكائنات نظرا لأن الوليد الإنساني يكون أعجز الكائنات و في نفس الوقت فان المستوى الحية التي يعد لها هي الأكثر تعقيدا و صعوبة.
* ا**لمراهقة**: هي مرحلة اقتراب الفرد من النضج الجسمي و العقلي و النفسي الاجتماعي، تقع بين الطفولة و الرشد، حددها العلماء بين سن 11-12 و 18-19 سنة، هي كذلك عملية حيوية عضوية بيولوجية في بايتها و ظاهرة اجتماعية في نهايتها. تتميز المراهقة بمجموعة من التغييرات الجسمية و الفزيولوجية التي تتم تحت ضغوط اجتماعية معينة تسقل لهذه المرحلة مظاهرها النفسية المتميزة، كما تساعد الفروق الثقافية في بعض المجتمعات على تمييز هذه المرحلة أكثر.

2- بداية و تطور البحث في الطفولة:

يقصد بتطور البحث في علم النفس الطفل هو تطور نظرة العلماء و الباحثين اتجاه طبيعة إمكاناته الطفل الشخصية و احتياجاته النمائية، هذا التطور الذي يمكن بدأه منذ قدماء الفلاسفة اليونان و الرومان الذين اعتبروا الطفل مواطن المستقبل و عضو من أعضاء الأسرة مع اعطاءه بعض الحقوق و المسؤوليات المحددة (رأى "أفلاطون" أن الطفل يولد و هو مزود بالأفكار و المعاني العامة و أن الخبرات التي يكتشفها من خلال حواسه تُذكرهُ بما كان يعلمه قبل ولادته و هو بهذا يعترف بدور الوراثة على شخصية الفرد دون اعتبار للعوامل البيئية)، كما اقترح "أرسطو" الاهتمام بتربية الطفل حتى سن 21 سنة و تعليمه السياسة و علم النفس و الفلسفة لأنها تشحذ قدراته العقلية.

خلال العصور الوسطى اعتبر وجود الأطفال على أنها نتيجة خطيئة سيدنا آدم و هم فاسقون بالفطرة و عليه كان الطفل و منذ السنة الثالثة من عمره يعامل كالراشد فيجبر على العمل و تحمل المسؤولية، إضافة الى القسوة و الاضطهاد. خلال الثورة الصناعية كان الأطفال يستغلون استغلالا قائما على نظام الرق (العبودية)، و كانت ظروفهم الحياتية سيئة للغاية، فيجبرون على العمل لمدة 16 ساعة في اليوم، أما أطفال العائلات الغنية فكانوا يتعرضون لكسر الإرادة لاعتقاد الأهل أن التربية العنيفة هي فقط من يجعل الطفل مؤهلا لأن يكون عضوا مقبولا اجتماعيا. خلا القرن 19 اقتنع المجتمع الأوروبي بضرورة تعليم الأطفال بسبب زيادة التطور الاجتماعي و حاجته الى موظفين ذوو مهارات محددة و مستوى علمي معين فأصبح التعليم المدرسي منتشرا و كان هدفه الأول تعليم القراءة و الكتابة و الحساب، ثم ظهرت مناهج مدرسية حديثة و في أواخر نفس القرن ظهرت قوانين تنص على التعليم الالزامي للأطفال بعدما كان اختياريا.

يعتبر "ستانلي هول Hall. S" (1844-1924) رائد حركة دراسة الطفل، الذي كان مقتنعا بأن دراسة التطور هي السبيل الوحيد لفهم سلوك الانسان و أن التطور الخاص بكل فرد يعود الى خبرات اجداده في مراحل مختلفة خلال التاريخ الطويل للعنصر البشري. استعمل "هول" أسلوب جديد من أجل أن يجمع المعلومات المدعمة لنظريته، حيث طلب من المعلمين أن يسألوا تلامذتهم عن تجاربهم عن طريق ملا استمارات خاصة لذلك و قد ساهمت هذه المعلوات في الحصول على معرفة هامة عن الأطفال و عن مشاعرهم و مشاكلهم و معتقداتهم. أنشأ "ألفرد بينيه" في 1904 أول اختبار لقياس ذكاء الأطفال ثم قام تيرمان بإعادة تقنين هذا الاختبار من أجل الاستعمال الأمريكي في 1916 تحت اسم **ستانفورد بينيه.** اهتمت "منتسوري" بتعليم الأطفال المتخلفين عقليا بالتركيز على طريقة التدريب على المهارات الحركية و الادراكية، في نفس الوقت كان "واطسون و بافلوف" يستعملون أساليب أخرى أهمها التجارب مركزين على جوانب السلوك التي يمكن ملاحظتها مباشرة و بسهولة. أما "فرويد" فقد لفت الانتباه الى أن الطفولة تعتبر مرحلة حرجة في تطور الانسان و أن الأمراض العصابية للإنسان الراشد هي نتيجة للخبرات اللا شعورية في الطفولة.

يعتبر علم النفس حاليا أكبر فروع علم النفس النمو و هو لا يزال في طور الطفولة، كما أصبح النمو المعرفي أهم شيء فيه، يحاول من خلاله العلماء ربط الدراسة التجريبية مع الوظائف المعرفية (التفكير، الذاكرة، الادراك...) و في نفس الوقت يحاول أن يوظف المعلومات من دراسة الأعصاب.

1. أهداف دراسة علم النفس الطفل و المراهق:

2-1 وصف التغيرات السلوكية و فهمها: يتم وصف و فهم التغيرات السلوكية عند الطفل و المراهق من خلال محاولة الإجابة على الأسئلة التالية: متى تبدأ عملية نفسية في الظهور؟ ما هي الخطوات التي تسير عليها (سيرورتها)؟ و كيف تؤدلف مع غيرها من العمليات النفسية الأخرى أنماطا معينة من السلوك؟

2-2 تفسير التغيرات السلوكية: يقصد بالتفسير الإجابة على السؤال **لماذا؟**، من أجل البحث عن الأسباب الكامنة وراء ظهور الأنماط السلوكية.

2-3 التدخل في التغيرات السلوكية: التدخل من أجل التحكم فيها حتى يمكن ضبطها و توجيهها و التنبؤ بها.

1. أهمية دراسة علم النفس الطفل و المراهق: يمكننا تلخيص هذه الأهمية فيمايلي:

3-1 الأهمية من الناحية النظرية: تزيد من فهمنا لطبيعة العلاقة بين الانسان و بيئته و ذلك من خلال التعرف على طبيعة تأثير العوامل الوراثية و البيئية على النمو، مما يؤدي الى توفير العناصر المساعدة لتلك العوامل على تأدية عملها في أحسن الظروف و تحقيق أفضل النتائج الإيجابية.

3-2 الأهمية من الناحية التطبيقية: تزيد من القدرة على توجيه ال"فال و المراهقين و التحكم في العوامل و المؤثرات المختلفة في النمو.

* تساعد علماء النفس على اكتشاف الانحرافات و الاضطرابات في سلوك الأطفال و المراهقين و تحديد طرق علاجها و الوقاية منها.
* تساعد المدرسين على بناء مناهج التدريس و اعداد الوسائل المعينة في العملية التربوية.
* تساعد الأباء على معرفة خصائص الأطفال و المراهقين مما يساعد على عملية التنشئة الاجتماعية و التطبيع الاجتماعي لأولادهم.